قال الحسن كل شيء منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله
من السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة الى ان تتذكروا فتعلموا ان هذه الاشياء
خالقها واحد لا شريك له لا يعجزه حشر الاجساد وجمع الارواح وقرا حفص والكسائي بتخفيف
الذال والباقون بالتشديد ففروا اي اقبلوا والجاوا الى الله اي الذي لا شيء له فضلا
عن مثله ولا الكمال كله فهو في غاية العلو فلا يفر ويسكن احد الى محتاج مثله فان
المحتاج لا غنا عنده ولا يفر اليه سبحانه الا من حجر عن حضيض عوائقه الجسمية الى
اوج صفاته الروحانية وذلك من وعيده الى وعده الذي دل عليه ما بالزوجين فيكمل
السياق بالتحذير والاستعطاف بالاستدعاء فهو من باب لا ملجا منك الا اليك اعوذ بك منك
ومن صح فراره الى الله صح فراره الى الله قال الشاعر وهو كالمنا لمتابعة لبسه غير ومن
فهم منه اتحاد ابدات او صفة فقد شابه طريق القوم فعليه لعنة الله اني لكم منه لا
غير نذير اي من ان يفر احد الى غيره فانه لا يحصل له فقد مبين اي بين الانذار وقرار
العامة من الجهل الى العلم فقدا وسعيا ومن الكسل الى التشمير حذرا وهربا ومن الضيق الى
السعة ثقة ورجا وفرارا الخاصة من الخبر الى الشهود ومن الرسوم الى الاصول ومن
الحظوظ الى التجريد وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق استغراقا في وحدانيته
ولا تجعلوا اي باهوائكم مع الله وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر تعيينا للمراد لانه
لو شاركه في التسمية احد وتنبيها على ما له من صفات الكمال وتعميما لوجوه المقاصد
لئلا يظن لو قيل معه ان المراد النهي عن الجعل من جهة الفرار لا من جهة غيرها انها اخر
ثم علل النهي مع التاكيد لطفهم في نذارته فقال اني لكم منه اي لا من غيره فان غيره
لا يقدر على شيء نذير اي محذر من الهلاك الابدي بالعقوبة التي لا خلاص معها انه
فعلم ذلك مبين اي لا اقول شيئا من واضح العقل الا ودليله ظاهر من مرجح العقل
كذلك اي مثل قول قومك المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب مما له من
الاضطراب دفع لمن قبلهم ودل على هذا القدر بقوله تعالى مستانفا ما اتى الذين من قبلهم
اي كفار مكة وعم النفي ونسال تعالى من رسول اي من عند الله الا قالوا ساحر او مجنون
اي مثل تكذيبهم لك بقولهم ذلك لان الرسول يأتيهم بمخالفة ما لو فاتهم التي قادتهم
اليها اهواؤهم والهوى هو الذي اوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء كانت او للتفصيل
بان بعضهم قال واحد وبعضهم قال اخر وكانت للشك لان الساحر يكون لبيبا
فطنا اشياء يعجز عنه كثير من الناس والمجنون بالضد من ذلك ثم عجب من قوله
تعالى اتواصوا به فهو استفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به يعود على القول المدلول
عليه بقالوا اي اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول المتضمن لساحر او مجنون
والمعنى كيف اتفقوا على معنى واحد كانهم تواصوا عليه وقال بعضهم لبعض لا تقولوا
الا هذا وهو ولهم احرهم بالتكذيب وقوله تعالى بل هم قوم اي ذو شماخة وكبر
طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لشاهد اياهم ان الجامع لهم على هذا القول
مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله
فتول اي اعرض عنهم اي كلف نفسك الاعراض عن الابلاغ في ابلاغهم ولا تاسف على
تخلفهم عن الاسلام فما انت بملوم لانك فعلتهم الرسالة وما قصرت فيما امرت به
قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه
وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتولى
عنهم فانزل الله تعالى وذكر اي ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين
ولا تنفعهم والمعنى ليس التولي مطلقا بل قول وابلغ فاقبل واعرض وادع فلا
التولي يضرك اذا كان عليهم والتذكير يضيع اذا كان مع المؤمنين وقال البلخي من امن من
قومك فان الذكرى تنفعهم ولما بين حال من قبل النبي صلى الله عليه وسلم بين سوء منيتهم ويوم التكذيب

حث

حث تركوا عبادة الله الذي خلقهم للعبادة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
واختلف في تفسير ذلك فاكثر المفسرين على ان المراد بهم العموم ولا ينافي ذلك عدم
عبادة الكافرين لان الغاية لا تلزم وجودها كما في قولك مررت بهذا القلم لاكتب به
فانك قد لا تكتب به هكذا قاله الجلال المحلي واوضح منه ما قاله ابن عادل ان المعنى الا
تعرفوني بالعبادة ثم منهم من يتاتى منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم يرتبه للكتابة
ثم قد تكتب به وقد لا تكتب انتهى او ان المراد الا امرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا
منقول عن علي بن ابي طالب او ان المراد ليطيعوني وينقادوا لقضائي فالمؤمن يفعل
ذلك طوعا والكافر يفعل ذلك كرها او ان المراد الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحد اختيارا
في الشدة والرخاء واما الكافر فيوحد اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة وقال
مجاهد معناه الا ليعرفون قال البغوي وهذا ليس لانه لو لم يخلقهم لم يعرفوا وجوده
وتوحيده بدليل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل المراد به الخصوص
اي ما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي قاله
زيد بن اسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة وبه يرد قوله تعالى ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل وما خلقت الجن والانس المؤمنين وقيل
الطائعين تنبيه استدل المعتزلة بهذه الاية على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض
واجيبوا بوجوه منها ان الله قد تثبت لعمر الغرض كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس
وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة
التي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله تعالى والله خالق كل شيء ومنها ما يدل
على ان الاضلال يفعل الله كقوله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ومنها قوله تعالى لا يسال
عما يفعل وقوله تعالى ويفعل الله ما يشاء وقوله ما يريد فان قيل ما الحكمة في انه
لم يذكر الملائكة مع انهم من اصناف المكلفين وعبادتهم اكثر من عبادة غيرهم من المكلفين
قال تعالى بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته اجيب
بوجوه احدها ان الاية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص
بالجن والانس لان الكفر موجود فيهما دون الملائكة ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال تعالى وذكر مبين ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة
وخصص امته بالذكر اي ذكر الانس والجن ثالثها ان عباد الاصنام كانوا يقولون بان
الله تعالى عظم الشان خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم
لعبادته ونحن لا نزول ونحن لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله تعالى
كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المنازع فيه رابعها
فعل الخبيث تنازل الملائكة لان اصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر
الجن لدخول الملائكة فيهم ولما حصر سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم
بقوله تعالى ما اريد منهم اي في وقت من الاوقات وعم في النفي بقوله تعالى من رزق منهم
اي شيء من الاشياء على وجه ينفعني من جلب او دفع لاني منزه عن الحاق نفع او ضر كما يفعل
غيري من الموالي مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل ما
يشتهيهم وارزاقهم فاما مجيئي في تجارة لبني ربحا او مرتب في فلاح لتفضل رضا او صلح في حرفة
لينتفع باجرته او مخطب او محتشم او مستوفي او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال
والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق لا في الغنى المطلق وكل شيء منفعة
وما اريد اصلا ان يطعمون اي ان يرزقون رزقا خاصا هو الطعام وفيه تعريض باصنامهم
فانهم كانوا يعبدون معها ما ينفعها ويحضرون لها الماكل فربما اكلتها الكلاب ثم مالت على الاصنام
ثم لا يصدهم ذلك عن عبادتها وقيل في الاية حذف مضاف اي وما اريد ان يطعموا احدا من خلقي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)